اللغة العربية وتبادل المعارف والعلوم بين الأمم والشعوب " دراسة فلسفية مقاربة".

The Arabic language and the exchange of knowledge and science between nations and peoples,“a comparative philosophical study

ط د: أنيسة عقابة

قسم الفلسفة بجامعة ابن خلدون –تيارت –

تاريخ الإرسال: 2024/02/10	تاريخ: القبول: 2024/05/16	تاريخ النشر: 2024/06/30

الملخص: تُشكل اللغة الركيزة الأساسية لبناء المجتمعات، فلا يوجد مجتمع خال من اللغة سواء أكانت ألفاظا أو رموزا أو إشارات أو غير ذلك، وحين نتكلم عن اللغة مباشرة يتبادر إلى أذهاننا اللغة العربية كونها من أعرق اللغات وأقدمهم، وتاريخها حافل بالاكتشافات والإنجازات، بل يكفيها فخرا أنها لغة الإسلام والقرآن، ونتيجة لأهمية هذا الموضوع جاءت ورقتنا البحثية بعنوان: اللغة العربية وتبادل المعارف والعلوم بين الأمم والشعوب "دراسة فلسفية مقاربة"، والتي تهتم بالكشف عن المكانة العلمية للّغة العربية في باقي الثقافات الأجنبية (الأندلس، الإغريق..)، كما يسعى البحث إلى إظهار حركة التأثير والتأثر بين لغتنا ولغات العالم، وقد اتخذنا من المنهج التاريخي والتحليلي المقارن أداة للكشف والتوضيح عن كل أسئلة البحث، والذي مكننا من الوصول إلى نتائج تبرز مدى أهمية وقوة اللغة العربية في الوسط الحضاري العالمي، وكيف انتقلت إنجازات العرب عبر الترجمة.

الكلمات المفتاحية: اللغة العربية، الثقافة، اللغات الأجنبية، الترجمة، الحضارة.

Summary : Language learning is the foundation of societies. There is no society devoid of language in general. When you make use of direct language, we think in strict Arabic, the oldest language. It is the language of Islam and the Qur'an, and as a result of the importance of this topic, we were invited with the title: The Arabic

Language as well as Knowledge and Sciences Among Nations. Peoples is a "comparative philosophical study" that reveals the scientific status of the Arabic language in other cultures.

It also suggests a search for influence and influence between our language and the languages of the world. We have proven that historical analysis and comparison are a tool for uncovering and answering research questions, which enables us to reach results that highlight the importance and strength of the Arabic language in the global cultural milieu.

Keywords: Arabic language, culture, foreign languages, translation, civilization

1. مقدمة:

تُعدُّ اللغة العربية من أعرق اللغات السامية عند البشر، فهي لغة علم وحضارة وتاريخ، والدليل على ذلك ما أنجزته حضاراتها، التي عُرفت بازدهارها الحضاري مع الدولة العباسية، التي امتدت في رقعة واسعة ولاسيما مع عهد السلاطين الثلاثة: أبي جعفر المنصور والمأمون وهارون الرشيد. وحظيت بأهمية كبيرة، كونها لغة الترجمة لفكر اللغات الأجنبية كاليونانية والفارسية والهندية والرومانية، ففي تلك الفترة انتشرت المعارف والعلوم وازدهر الأدب العربي وانفتحت اللغة العربية على قواميس ولغات وألسنة أخرى، من باب التهجين والتقارب الحضاري والمثاقفة، وأصبحت لغة العلم والرياضيات والفلك والهندسة والمنطق والفلسفة والتصوف والفلاحة والصناعة والاقتصاد، وانتعشت بفضل كثرة علمائها كالفراهدي والخوارزمي وابن سينا وابن خلدون وغيرهم.

إن إنجازات هؤلاء العلماء دفعت العالم الغربي إلى السعي لإرسال بعثات من العلماء الغربيين إلى المشرق لإقامة دراسات أنثروبولوجية وغيرها، بغية تحقيق معارف إبستيمولوجية مستمدة من ثقافة الدول العربية.

إلا أنها ومع تمكن العالم الغربي من السيطرة على العالم خلال الحرب العالمية الأولى والثانية وتطور الوضع الصناعي والتكنولوجي في العالم برزت الثقافات الغربية كقوى صانعة ومنتجة وقائدة، عكس العالم العربي الذي كُسرت شوكته وركد إنجازاته، ونتيجة لهذا التراجع الذي حلّ على العالم العربي تولدت إشكالية بحثنا من خلال الطرح التالي:

ما هي مكانة اللغة العربية بين ثقافات وحضارات العالم؟ وما هو مستقبلها في ظل التطور التكنولوجي والرقمي للغات الغرب؟.

وللإجابة عن هذا الطرح استعنا بالمنهج التحليلي والمقارن من خلال تحليل العناوين الآتية :

2. تعريف اللغة:

سنتطرق إلى التعريف باللغة بشكل مختصر ومفيد، فقط حتى يتسنى للمتلقي ضبط معنى لها.

2-1 لغة:

ويطلق لفظ اللغة على اللسان، والنطق معا، فقد جاء في لسان العرب في مادة (ل غ و) اللغة: اللسن وأصلها لغوة، فحذفوا واوها وجمعوها على لغات كما جمعت على لغوات واللغوة النطق، يقال هذه لغتهم التي يلغون بها أي ينطقون بها[1].

2-2 اصطلاحا:

يتمايز ويتنوع المعنى الاصطلاحي للغة من باحث إلى آخر وذلك لأنّ هناك من يعرفها حسب ما هو متعارف عند مجتمع ما، وهناك من يعرفها حسب وظيفتها وأدائها، وهناك من يعرفها حسب أنواعها، ومن بين هذه الإختلاقات وقع إختيارنا وإنتقاؤنا للتعاريف التالية:

ابن خلدون (808هـ) في تعريفه للغة قال" اعلم أن اللغة في المتعارف عليه، هي عبارة المتكلم عن مقصده – ثم يعلل ذلك بقوله - وتلك العبارة فِعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام، فلابد أن تصير ملكة متقرّرة في العضو الفاعل لها وهو اللسان، وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم[2].

ويقصد من خلال ذلك أنّ اللغة وسيله لأداء وظيفة هي الإبلاغ عن مقصد ومراد المتكلم، وأنها متصلة بأعضاء في جسم الإنسان من فم ولسان وأسنان ومخارج الحروف وغير ذلك.

وتعرف اللغة عند عالم اللغويات دي سوسير بقوله " إن اللغة نتاج اجتماعي لملكة اللسان ومجموعة من التقاليد الضرورية الذي تبناها مجتمع ما ليساعد أفراده على ممارسة هذه الملكة"[3]. ويعني بذلك أن اللغة وسيلة اجتماعية مكتسبة تعبر عن تقاليد القوم وعن حاجته.

هذا عن تعريف اللغة عموما، أما في معنى اللغة العربية فهي ما نطق به العرب ورجالهم من شعراء وبلغاء وهي ديوان العرب ومدوناتهم الكثيرة، وهي ما أُنزل به القرآن الكريم ، ومختلف تفرعاته من تفسير وتأويل وفقه، وما نطق به الهدي الأمين محمد صلى الله عليه وسلم في أحاديثه المروية والمنقولة بالسند الصحيح.

3. اللغة العربيّة لغة مقدسة:

بما أنّ اللغة العربية هي لغة القرآن، فلا شكّ أنها اللغة المقدّسة التي احتوت القلوب وتخللت الروح، وألبست العقول والضمائر والنفوس لباس الشغف، فشكّلت سماتها بدايتها بِما نطق به العرب، وظهرت قواعدها بناءا على ما يجب أن يكون وفق إعجاز واتساع ليس له مثيل في لغات أخرى، ورسمت كلّ خطوة يخطوها الإنسان بتعابير تستوعب كله وجله، نقول الإنسان لأنّ الإسلام ليس للعرب وحدهم، بل للإنسانيّة جمعاء : (خلق الإنسان، علّمه البيان)" و ("علّم آدم الأسماء كلّها)، ("علم الإنسان ما لم يعلم") وبزوغ الإسلام كان بمثابة نقطة حاسمة لمسائل ومناظرات عديدة أوضحها هذا الأخير من خلال مصادر تشريعه (القرآن الكريم والسنة النبوية)، وكانت الإشارة الواضحة والرسمية لمسألة الدراسة وطلب العلم والمعرفة والبحث نابعة من أول لفظ نزل من القرآن الكريم وهو (اقرأ).

ولذلك إنشهرت اللغة العربية واتسعت في الإسلام الذي غذّاها بتدفّقٍ كبير من الألفاظ والمعارف وجعلها الوسيلة البنائية التي يستهلكها كل إنسان يسعى لفهم الدين الإسلامي وطباع المسلمين. فكانت منطق الرسول صلى الله عليه وسلم، وانتشرت مع الفتوحات الإسلامية و مع حركة التوسع الإسلامي واتساعه، " فباللغة العربية تم تأليف كل كتب التفسير والسنة والفقه والأصول والتوحيد، وغير ذلك مما يقع بين أيدينا من فنون وعلوم، وبها أيضا يتم أداء العبادات والنسك والترتيلات"[4].

4. علاقة اللغة العربية بالثقافات والحضارات الغربية:

إن الكلمات العربية في اللغات الإسلامية : التركية والفارسية والمالاوية والأردية والسنغالية وغيرهم ،لا يمكن عدُّها من كثرتها فهي لا تُحصى، والكلمات العربية في البرتغالية والإسبانية وحتى في الإيطالية و الألمانية و الفرنسية والإنجليزية ليست بقليلة أيضاً .

لقد التقت اللغة العربية باللغة السريانية والفارسية والبربرية والقبطية، وكان لها التأثير الأكبر عليهم نتيجة القوة التي تحملها، فهي تتميز ببناء قوي محكم في ألفاظها وعباراتها، وتملك مادة غزيرة من المرادفات والأضداد لا توجد في غيرها، كما أنها لغة دين عظيم توسع وانتشر في كل أنحاء العام .

لقد احتوت رسالة الدين الإسلامي، فتميزت بألفاظ جديدة وكثيرة للتعبير عما يحمله هذا الدين من أفكار ومفاهيم، وقواعد ونُظُم وسلوك. وأضحت لغة الحضارة الراقية والثقافة المنفتحة والحكم السائد في الوقت ذاته . يقول المؤرّخ الألماني هنري بريستد: "ولم تكن الملابس وفنّ الزخرفة والتزويق والأساليب الصناعية العملية الأشياء الوحيدة التي جاء بها الفينيقيون إلى بلاد اليونان، بل كان هنالك شيء أثمن من كل مصنوعات الشرق أخذه اليونان عن الفينيقيين وهو حروف الهجاء. وهي أهم ما وصل إلى أوروبا من خارجها.. وقد ظلّ أكابر البلاد أحقاباً طوالاً أمّيين، كانوا ينظرون إلى الكتابة نظرة المرتاب الحذر، ولم يبدأ بتعلم الكتابة إلا

بعد 700 عام قبل الميلاد.. والحقيقة التي لا مراء فيها هي أنّ حروف هجاء بلاد الغرب والشرق متسلسلة من حروف الهجاء الفينيقية، وجاء إلى أوروبا، لأوّل مرّة، مع حروف الهجاء القلم والحبر والورق، وجاء مع الورق اسمه الشرقي "بابيرو"، وهو اسم الورق الذي يكتبون عليه في مصر أيضاً. ثم استعمل اليونان لفظة "بيبلوس" اسم المدينة الفينيقية التي جاءهم منها، وسمّوا ما كتبوه عليها "بيبليا"، ومنها أخذت أوروبا لفظة "بايبل" التي معناها الكتاب[5]

وانتشرت اللغة العربية مع ازدهار العرب وغلبتهم على دول العالم فكريا واقتصاديا وسياسيا، كما كان لها فضل كبير في تحقيق الاكتشافات الكثيرة، حتى اعتبرت مخطوطاتها ومدوناتها في جل العلوم آنذاك اللبنة الأولى، والدعامة الأساسية التي ارتكزت عليها الثورة الصناعية في القرن التاسع عشر (ق 19) في أوروبا، وما تبعها من ثورات رقمية لمست شتى مناحي الحياة. فقد أثر العرب في غيرهم من الدول والحضارات تأثيرا كبيرا، ومن المعروف أنّ التأثير يتناسب تناسبا طرديا في العادة مع القوة السياسية والاقتصادية والثقافية لأهل اللغة المؤثرة، وأنه كلما ضعفت القوة السياسية والاقتصادية والثقافية لأمة من الأمم ضعف تأثير لغتها أمام لغات الأمم الأخرى، وهذا مبدأ ليس له استثناءات كثيرة منذ أن صاغه ابن خلدون في مقدمته عند حديثه عن تأثير الغالب في المغلوب[6].

ولا تزال اللغة المصدر الأساسي في إعطاء الصفة الاجتماعية والثقافية للمتحدثين بها، واللغة هي العامل الأول الذي يَساهم في نقل حياة وعادات ناطقيها، وقد اهتم عدد عديد من العلماء الأنثروبولوجيين بالاستيطان في الشرق العربي للإطلاع على أسباب وعوامل قوة هذه اللغة، وهذا إن دلّ على شيء فإنه يدل على مكانتها وقوتها.

وكان زمن نشوئها وتطورها مرتبطا بأسباب عرف بعضها والبعض الآخر لم يَعرف ولا يزال قيد الدراسة حتى يومنا هذا، وثمّة من يعتبر أنّ اللغة العربيّة أصبحت "بنية ذهنيّة، تكوّنت من نوازع نفسيّة طبيعيّة، تراصفت تاريخياً، فغدت بمثابة بوتقة تصهر ما يوضع فيها وتشكّله وفق طابعها، حين ملاءمته للصهر، فيكون له منحى خاص في الحوار والتعبير

والسلوك والنظرة إلى الواقع وما بعده من آفاق وتطلعات تتجاوز المحسوسات. إنّها النفس العربيّة بكل ما فيها من انعطافات ونتوءات[7].

وحين نقول "النفس العربيّة" فهذه ليست مجرّد عبارة تلقى مجازيا وجزافاً، بل هي حصيلة مركبة لتكوين الذات العربية، هذه "الذات" الذي تضافرت على تكوينها وارتقائها عوامل لا تحصى، وهي خليط من خاصيتين الاثنين، خاصية محسوسة نفسية قوية تتميز بالشهامة والكرم والصلابة والنخوة، ومن المادي المحسوس كقوة اللسان البادية في الشعر والحكمة والهجاء والرثاء وغير ذلك،

5. دور اللغة العربية:

لا مجال للشّك أن اللغة العربية تمكنت من الوصول إلى ريادةٍ عجزت عن بلوغها الكثير من اللغات الأخرى، ولا تزال متقدمةً وذات شأن عظيم ومكانة مرموقة بين نظيراتها من لغات الأرض، فهي علاوةً على كونها وسيلة للتفكير الهادف الموصل إلى العمليات العقلية والمدركات، فإنها أيضا أضحت وسيلة للكشف عن الأفكار والمشاعر بأساليبها الشعرية ذات الطابع الجمالي.

وللحفاظ على منجزات الفكر الإنساني- خاصة العربي- في مجال العلوم والثقافة والحضارة، وقد اهتم اللغويون بالحفاظ على مكانة كل لغة، وأقروا أن العربية من أطول اللغات الحية عمرا، وأنها لغة سامية وقديمة مقارنة مع غيرها من اللغات كالسريانية والكنعانية والآرامية والعبرية والحبشية والسريانية وغير ذلك.

6- خاتمة:

في ختام هذا البحث المعنون ب " اللغة العربية ومكانتها بين الحضارات والثقافات العالمية دراسة فلسفية مقاربة"، توصلنا إلى النقاط التالية:

1. اللغة العربية لغة علم وحضارة وازدهار، ولها تاريخ حافل بالنجاحات فقد برزت في اكتشافات علمية منذ بداياتها الأولى.
2. اللغة العربية من أعرق اللغات السامية التي خلفت حضارات فاعلة في التاريخ البشري.
3. اللغة العربية أوسع وأشمل وتحتوي المصطلحات تحمل كما هائلا من الترادف والتقابل والتضاد، لا يمكن أن تحويه لغة أخرى.
4. تراجعت مكانة اللغة العربية بين دول وحضارات العالم نتيجة للانهزام في الحروب العالمية والركود في مجال الصناعة والتجارة، ولتراجع العرب والمسلمين عن الاكتشافات والاختراعات.
5. ركود اللغة العربية كان نتيجة حتمية بعد ركود وتخلف العرب والمسلمين عن ركب التطور العلمي والتكنولوجي العالمي الحاصل.
6. صحيح أن هناك لغات عالمية أجنبية علا شأنها إلا أن تاريخها لم يقدم حضارةً وذلك الذخر الهائل كما فعلت اللغة العربية.
7. رغم أن اللغة الإنجليزية ارتقت إلى لغة عالمية إلا أنها لا تقوى على حمل الكم الهائل من المصطلحات العربية، ولا يزال الأجانب يلجأون إلى تعلم العربية وفهمها حتى يتسنى لهم فهم الدين الإسلامي جيدا.

ويمكن أن نخلُص بمجموعة من التوصيات والمقترحات التي نراها ضرورية للخروج من دائرة التخلف والركود التي وقعت فيها حضارتنا ولغتنا، لمواكبة التطورات العلمية والتقنية والسمو باللغة العربية ويمكن لنا حصرها في النقط التالية:

1. العمل على التعريب الصحيح للمعارف العلمية والتقنية بدلا من الترجمة الحرفية السطحية لها.
2. العمل على تشجيع العلماء وتحفيزهم معنويا وماديا بهدف دفعهم نحو الإبداع والإنتاج، فإذا عاد للعرب شأنهم وإبداعهم عادت لغتهم لمكانتها التي عهدتها في القرون الماضية.

3. الاهتمام بالبحث العلمي وتجهيز كل الإمكانيات لدعمه وتقويته وتنفيذه ميدانيا وتطبيقيا.

4. ترسيخ ثقافة الوعي بقيمة وأهمية لغتنا ونشر أعمالها الأصيلة السامية، والعمل على الارتقاء بها من خلال تكثيف تدريسها وممارستها في الوسط الوظيفي وفي الحياة اليومية.

5. وجوب القيام بإصلاح ديداكتيكي وبيداغوجي لرفع قيمة اللغة العربية من خلال إعادة النظر في محتوى مقاييسها التقويمية وتطوير أساليب تدريسها ومعالجة مقرراتها ومناهجها.

6. العمل على نشر اللغة العربية وثقافتها في الأوساط الغربية والاستعانة بوسائل التواصل الاجتماعي، حتى تُعمم هذه اللغة وتصل إلى أيدي باحثين وعلماء مهتمين بتبنيها في مشاريعهم.

7. إنجاز مراكز ومعاهد وكليات تهتم باللغة العربية وتعمل على تطويرها وتحسينها من خلال تبني ميادين الآداب والفنون وتشجيع الاختراع والاكتشاف والإبداع في هذه الميادين، والابتعاد عن التبعية للغرب بداية من نشر ثقافة التعريب في جميع القطاعات والمؤسسات العمومية.

قائمة المراجع والمصادر:

[1] أبو الفضل جمال الدين ابن منظور(1992)، لسان العرب، مادة (ل غ و)، دار صادر، ط1، بيروت لبنان، ص 251.

[2] إبن خلدون: (2014)، المقدمة، تحقيق عبد الواحد الوافي، دار النهضة، ط7، مصر، ص 1056.

[3] فرنينان دي سوسير: (1985)، علم اللغة العام، ترجمة يوئيل يوسف عزيز، دار الآفاق العربية للصحافة والنشر، ط3، بغداد العراق، ص 26.

[4] خالد الزواوي(2002)، اللغة العربية، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع ، القاهرة مصر، ص 05.

[5] جيمس هنري بريستد:(1983)، العصور القديمة، ترجمة داود قربان، مؤسسة عز الدين، بيروت، ص294، 295. (عن تاريخ سوريا القديم للدكتور أحمد داود، ص57و 58).

[6] ابن خلدون: المقدمة، مصدر سابق، ص 147-379.

[7] د. يوسف الحوراني،(2010) فصول مجهولة من تاريخ العرب ولغتهم (العدنانيون)، دار الحداثة، بيروت.